النشاط التجاريّ في البحر المتوسط وأثره في سقوط الامارات الصليبية في بلاد الشام خلال النصف الثاني للقرن السابع الهجري

م.د. رغيد كَمر مجيد سلمان م.د. نهاد حميد العيبي عجد
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية
ragheed gummar@yahoo.com

الملخص:

كان للنشـــــــاط التجاري في البحر المتوسط أثر كبير في سقوط الامارات الصليبية في بلاد الشام بيد المماليك البحرية، فكان التنافس على اشده بين الامارات الاوربية، ولاسيما الجمهوريات الايطالية البحرية، مما أثر في الاوضاع الداخلية، فحدثت منازعات كبيرة بين الامـارات الصليبية في بلاد الشام تسبب في ضعفها من جهة اولى، وكانت المعاملة السيئة والتعدي الذي اظهره الصليبيون للمسلمين من تجار وفلاحين من جهـــــــة ثانية، والتحالفات التي حاول الصليبيين عقدها مع مغول فارس العدو الاول للمماليك من جهة ثالثة، عوامل دفعت دولة المماليك البحرية للقيام بعمليات عسكرية للقضاء على الامارات خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري.

الكلمة المفتاحية: تجارة

المقدمة:

إنَّ لموقع البحر المتوسط اهمية جغرافية؛ لأنَّه يربط بين قارات العالـم القديم اسيا وأوربا وافريقيا، وبسبب هذا الموقع الجغرافي المتميز ازدهر النشاط التجاري، وتكمـــن اهمية البحث في بيان التنافس الشديد بين الجمهوريات الايطالية البحريـــة، للسيطرة على التجارة، ممـــا اثر سلبياً في الامارات الصليبية في بلاد الشام، وأدى إلى سقوطها.

وفي القرن السابع الهجري ظهرت دولـــة المغول، التي توسعت نحو الغرب، حتى وصلت بلاد الشام، فوجد الصليبيون في دولة المغول الحليف الذي يساعدهم ضد المماليك البحرية. لقد كان الصراع كبيراً بين المسلمين في الشرق، ويمثلهم بقايـا الايوبيين في الشام ومصر ومن بعدهم المماليك البحرية، والامارات الصليبية في الشام يساندهم البابا وملوك اوربا الصليبيين، وكانت دولة المماليك البحرية عازمة على القضاء والتخلص من الصليبيين في بـــلاد الشام.

والبحث يتناول الأحوال السياسية في منطقـــة البحر المتوسط في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، وأثر النشاط التجاري في الاوضاع الداخليـــة للأمارات الصليبيـــة في بلاد الشام، والعمليات العسكرية للمماليك للقضاء على الامارات الصليبية في بلاد الشام.

المبحث الأول/ الاحوال السياسية في منطقة البحر المتوسط في النصف الثاني من القرن السابع الهجريّ:

واجه العالم الإسلامي خلال القرن السابع الهجري خطرين كبيرين، القيا بظلالهما على الاحوال السياسة في منطقة البحر المتوسط التي شكلت محور الحياة السياسية والاقتصادية، فهي منطقة التقاء بين قارات العالم القديم اسيا واوربا وافريقيا، تمثل الخطر الأول بالوجود الصليبي[١] وسيطرته على الملاحة في البحر المتوسط بنحو كبير، وتأسيسه لإمارات صليبية في سواحل بلاد الشام، والخطر الثاني هو الغزو المغولي الذي اجتاح اقاليم الدولة الاسلامية ووصولهم الى بلاد الشام، اذ تمكن المماليك[٢] البحرية تحقيق النصر في معركة عين جالوت بقيادة السلطان المظفر قطز[٣](٦٥٧-٦٥٨هـ)، سنة ٦٥٨هـ على المغول والوقوف امام توسعهم.

هذا التوسع أثار المسلمين ولاسيما بعد التقارب الذي حصل بين الصليبيين والمغول، مما جعلهم ينظرون لهذا التقارب نظرة شك، وبهذا الخصوص ذكر ابن الاثير[٤] : " ولقد بلي الإسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم منها هؤلاء التتر، قبحهم الله، اقبلوا من المشرق، ففعلوا الافعال التي يستعظمها كل من سمع بها، ... ومنها خروج الفرنج، لعنهم الله، من المغرب إلى الشام، وقصدهم ديار مصر، ...".

لقد تقاربت وجهات النظر السياسية بين الصليبيين ومغول فارس بوجود عدو مشترك وهم المماليك البحرية في مصر والشام، وكانت منطقة البحر المتوسط مسرحاً لهذه السياسة العدائية بين الطرفين، إذ جرت مشاورات بين الطرفين، واتفقا على القضاء على المسلمين.

بعد وفاة هولاكو(٦٥٤-٦٦٣هـ) سنة ٦٦٣هـ، نصب ابنه اباقا خان[٥](٦٦٣-٦٨٠هـ) خلفاً لأبيه، وكان لامه دوقوز خاتون[٦] التي تدين بالمسيحية دوراً في تنصيبه، وكان هو بدوره تزوج من ماريا[٧] ابنة الامبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن باليولوجوس[٨]، التي بعد وفاة دوقوز سنة ٦٦٣هـ أصبحت السيدة الاولى في البلاط المغولي، وعرفت عندهم باسم (ديسبينا خاتون)، وكانت محل احترام المسيحيين والمغول على حدً سواء[٩].

وكان تأثير دوقوز وماريا(ديسبينا) واضحاً في سياسة اباقا خان في تقربه من الاوربيين (الصليبيين) من جهة، وشجع الغرب الاوربي وفي مقدمته البابوية للتحالف مع مغول فارس من جهة اخرى، فقام البابا كلمنت الرابع[١٠] بأرسال بعثة لخان مغول فارس اباقا عارضاً عليه عقد تحالف عسكري لمحاربة المماليك البحرية، غير أنه لم يكتب لهذا التحالف النجاح، لانشغال اباقا بحربه[١١] مع عمومته من مغول القبيلة الذهبية[١٢] حكام القفجاق[١٣][١٤].

بادر اباقا سنة ٦٦٨هـ لعقد تحالف مع ملك فرنسا لويس التاسع، وتعهد بتقديم المساعدات العسكرية إن نجح لويس بالوصول بحملته إلى بلاد الشام، فارسل اباقا بعثة تبين له بأن المغول متحمسين إلى التحالف معه، وكان اباقا مستعداً بنحو كبير لمهاجمة السلطان الظاهر بيبرس(٦٥٨-٦٧٦هـ) [١٥]، ولكن فشل حملة ملك فرنسا لويس التاسع عرقلت امكانات عقد التحالف، لأن لويس التاسع توجه بحملته نحو تونس، اذ توفي[١٦].

أما تحالف اباقا خان مع ملك انكلترا ادوارد الاول؛ فحقق بعض من أهدافه عملياً، سنة ٦٦٩هـ، إذ تمكن ملك انكلترا من الوصول بحملته[١٧] إلى ميناء عكا[١٨]فطلب مساعدة اباقا، فأرسل له بعثة بهدف مناقشة شروط التعاون، فقام اباقا خان بأرسال جيش مغولي كان تعداده ما يقارب العشرة الاف فارس، عسكروا في منطقة اسيا الصغرى، ثم غزا الشام، واستطاع هذا الجيش احراز بعض النجاح إلا أنه انسحب قبل اشتباكه مع جيش المماليك البحرية الرئيسي[١٩].

وقام اباقا خان بأرسال وفداً سنة ٦٧٣هـ للاشتراك في مؤتمر مسيحي عقد في مدينة ليون الفرنسية، وكان هدفه التحالف مع القوى الأوربية الصليبية ضد المسلمين[٢٠].

ثم ارسل اباقا وفداً جديداً سنة ٦٧٦هـ إلى اوربا لمقابلة البابا وملك انكلترا ادوارد الاول بهدف التحالف للقيام بحملة صليبية لمساعدة المغول في حربهم ضد المماليك البحرية[٢١].

نتبين مما سبق أن اباقا خان لم يوفق من عقد تحالف مؤثر مع القوى الأوربية، وانما كانت محاولات لم تحقق أهدافها بالقضاء على دولة المماليك البحرية.

بعد وفاة اباقا خان استمرت سياسة عقد التحالفات بين القوى الاوربية الصليبية ومغول فارس في عهد الخان ارغون(٦٨٣-٦٩٠هـ) [٢٢]. ففي سنة ٦٨٤هـ، ارسل ارغون رسالة إلى البابا هورنيوس الرابع[٢٣] للقيام بحملة مشتركة ضد المماليك البحرية في مصر والشام[٢٤]، ولكن لم يصله رد على رسالته، وتابع ارغون بارسال سفارة اخرى إلى اوربا سنة ٦٨٦هـ، عهد بها إلى القس رابان سوما[٢٥]، فقابل العديد من زعماء اوربا، ولكن لم تستطع هذه السفارة عقد تحالف بين الطرفين، ومن ذلك أن البابا نيقولا الرابع[٢٦] لم يتعهد باتخاذ اجراء معين، ثم توجه رابان سوما في سنة ٦٨٧هـ إلى جنوة الايطالية، فاستقبله اهل المدينة باحتفال كبير، بعد أن عرفوا بأنه جاء لأجل عقد تحالف بين المغول والقوى الاوربية للقضاء على المماليك البحرية، وهذا ما يحقق لهم النفع من الناحية التجارية وهو ما كان يهم اهل مدينة جنوة[٢٧].

ارسل ارغون سفارة جديدة سنة ٦٨٨هـ إلى اوربا لمقابلة البابا وملك فرنسا وملك انكلترا، يعلمهم بانه سوف يتوجه إلى الشام طالباً تعاونهم معه، وقدم وعده لملك فرنسا فيليب الرابع ان

قام بارسال قوات اضافية، واستولى المغول على بيت المقدس فإنـــه سيعطيه اياه، غير أن هذه السفارة لم تصل إلى اتفاق محدد بين الطرفين[٢٨].

وقام ارغون سنة ٦٨٩هـ بتوجيه سفـــارة إلى ملك انكلترا ادوارد الأول، يطلب منه القيام بحملة والتحالف معه لأجل قتال المماليك البحرية، غير أن الملك ادوارد الأول الذي ابدى رغبتـه في أول الأمر ذكر أن تحركه مرهون بالبابا[٢٩].

لم تحقق هذه السفارة كسابقاتها الهدف الذي من أجلـــه قدمت إلى اوربا، وهو عقد تحالف مغولي مع القوى الاوربية الصليبية ضد المسلمين.

المبحث الثاني:ـ أثر النشاط التجاري في البحر المتوسط في الأوضاع الداخليـــــة للأمارات الصليبية في بلاد الشام :

تعد منطقة البحر المتوسط ذات اهمية كبيرة من الناحيـة التجاريـة، فهي تربط بين قارات العالم القديم، وكان النشاط التجـاري يمثل وسيلة للاتصال بين شعوب هذه القارات.

كانت التجارة قائمة في هذه المنطقة، إذ ارتبط تجار هذه المنطقة بصلات تجارية مـــع بعضهم، فكان تجار جنوب اوربا يأتون لأسواق الشرق، لغرض التبادل التجـــاري، واستطاعوا تكوين جاليات كبيرة تحولت فيما بعد إلى امارات صليبية تنتشر على الساحل الشامي.

ومثلت الحروب الصليبية من جهة، وجرأة الايطاليين ومهارتهم في التجارة من جهة ثانيـة فضلاً عن الغزو المغولي من جهة ثالثة، عوامل لإيجاد مراكز تجاريـــة أسست لنواة الاتصالات بين القارات الثلاثة اسيا، واوربا، وافريقيا.

كانت الاسواق الكبرى في منطقة البحر المتوسط هدفاً لكل التجار لمـا تحويه من بضائع متنوعة، منها بضائع ثمينة قادمة من الشرق، ولاسيما التوابل التي كانت تلقى اقبالاً واسعـــاً في اوربا، وعد التاجر الغربي الذي يقوم بالمتاجرة مع مصر بأنه مسيحي فاجر، لأنـــه يسيئ للعالـم المسيحي ويفيد بعمله تجار مصر، مما يصب في مصلحة حكومة مصر (المماليك البحريـــة)، وعلى الرغم من أن المعوقات المفروضة على التجارة بين مصر والجمهوريات الايطاليـــــة، إلا أنهـــا استمرت ناشطة احياناً، وسط سوء العلاقـات والحروب بين الطرفين، غير أن الحصول على ارباح ومنافع كبيرة كان يبدد الكثير من المخاوف[٣٠].

ولم يتجاهل التجار الايطاليون بصورة كاملة تأثير الكنيسة وتعليماتها بشأن المتـــاجرة مع التجار المسلمين، فكان تجار جنوة أو البندقية، يفضلون ممارسة تجـــارتهم مع التجار المسيحيين

والموانئ المسيحية، وليس التجار المسلمين والموانئ الاسلامية، وكان للكنيسة تأثيرهـــا القوي في ايطاليا، وإن من شأن الذي يعارضها ان يتعرض للخطر[٣١].

كانت اهم صادرات الغرب هي المعـــــادن والاخشاب، ولأن هذه المواد كانت تستخدم في صناعة الاسلحة، فمنعت السلطات الدينية الأوربيـــــة بيعهـا للمسلمين. فكانت التجارة مع مصر مباحة عموماً لرعايا ملك ارغون، فإنه كان محظوراً عليهم ان يبيعوا المسلمين مـــــــــا يستخدم بصناعة السفن، أو حتى بيعهم سفناً جاهزة. فكانت هذه التجارة محرمـــة على تجار الغرب، فوجه البابا جريجوري العاشر[٣٢] سنة٦٧١هـ انذاراً إلى تجار مونبيليه الفرنسية، ووجه انذاراً مماثـلاً إلى تجار مدينة ناربون (أربونة)[٣٣]، واصدر جيمس الاول ملك ارغون سنة٦٧٣هـ مرسومـــــاً يحظر تصدير المعادن والاخشاب والاسلحة والمواد الغذائية إلى مصر[٣٤].

واجهت الامارات الصليبية في بلاد الشام خلال القرن السابع الهجري خلافـــــات كبيرة، بسبب تنافس الجمهوريات الايطالية للسيطرة على النشاط التجاري في منطقـــة البحر المتوسط، أدى إلى حدوث منازعات وحروب اهلية، اسهمت في اضعاف الامـارات الصليبية في بلاد الشام ومن ثم إلى تساقطها بيد المماليك البحرية[٣٥].

لقد سيطر التجار البنادقة على النشاط التجاري في عكا، في حين سيطر التجار الجنويين على النشاط التجاري في صور، ونتيجة لذلك كان البنادقـــــة يرون أن الجنويين منافسون لهم في ميدان التجارة، وأنهم بمنزلة الاعداء لهم، وهذا الرأي كان سائداً لدى الجنويين أيضاً. حتى أن الجنويين وصل بهم الحال إلى الاتفاق مع المماليك البحرية عدو الصليبيين الاول من أجـــــل تحقيق مصالحهم، إذ اتفقوا مع السلطان الظاهر بيبرس، وقرروا مهاجمـــة عكا، غير أن تأخـر حضور الجنويين اجبر بيبرس إلى إنهاء حصاره لعكا سنة ٦٦١هـ[٣٦].

وفي سنة ٦٦٥هـ قرر الجنويون بقيادة الاميرال كشيتو جريمالدى مهاجمـــــة امارة عكا، وقاموا بالاستيلاء على برج موش(برج الذباب) وسد مدخل الميناء، واجبروا السفن على التوجـــه إلى صور، واحرق كل سفينة تخرج من الميناء، وبعدها قرر التوجـــــه إلى مدينة صور، وترك قسماً من اسطوله بعهدة القائد باسكويتو مالوني الذي استمر في حصاره لأمارة عكا إلى أن اضطر للانسحاب أمام اسطول البندقية[٣٧].

وتم عقد هدنة سنة ٦٦٨هـ بين البندقيـــــة وجنوة، إذ قام البابا كليمنت الرابع بمســاعي الصلح، ووضعها ملك فرنسا لويس التاسع حيز التنفيذ[٣٨].

وشهدت عكا في المدة(٦٧٠-٦٧٣هـ) عدم استقرار، إذ اتهم الجنويون حاكم البندقية القائم بهذه الامارة بأنه لم يراع شروط الهدنة، وأنه لم يرجع لهم المنازل التي أدعى الجنويون بأن لهم حق في ملكيتها[٣٩].

أما بخصوص علاقة الجنويون بالبيازنة؛ فلم تكن ودية هي الأخرى، اذ شغلوا البيازنة جزءاً من الاقليم الجنوي، وقد اغار الاميرال الجنوي رولاندو اسكيري سنة ٦٨٥هـ على اقليم البيازنة في امارة عكا الا ان هذه الاغارة لم تسفر عنها سوى حدوث بعض المناوشات[٤٠].

اضطر البيازنة سنة ٦٨٦هـ إلى توقيع عقد صلح تضمن بنود متعددة، منها ما يخص عكا. تعهدوا فيه بهدم جميع المباني التي بنوها في حي الجنويين خلال مدة سنة ونصف، وتعهدوا أيضاً برد القسم الذي احتلوه من حي الجنويين إلى ملاكه الاصليين، وعلى الحالة التي كان عليها قبل سنة ٦٥٦هـ، وأن لا يشيدوا أي بناء في الأقليم الجنوي[٤١].

اخذت الامارات الصليبية بالانهيار واحدة تلو الاخرى، بيد المماليك البحرية ، فقضى على سيادة الصليبيين في البحر المتوسط.

أما بخصوص العلاقات التجارية بين المماليك البحرية والجمهوريات الايطالية؛ فلم تكن على وتيرة واحدة، احياناً تشهد حروباً واحياناً أخرى تشهد هدوء على وفق الظروف السياسية بين الطرفين، فعقدت الامارات الاوربية الصليبية ولاسيما الواقعة على سواحل البحر المتوسط علاقات تجارية مع دولة المماليك البحرية في عهد السلطان الظاهر بيبرس، واخذت تجارة الجمهوريات الايطالية البحرية بيزا والبندقية بالتوسع سنة بعد أخرى، إذ امتلكوا في الاسكندرية فندقين[٤٢].

استمرت العلاقات التجارية بين المماليك والامارات الاوربية، في عهد السلطان المنصور قلاوون(٦٧٨-٦٨٩هـ) [٤٣]، فعقد مع الجنويين معاهدة تبين من خلالها تصميمه على تهيئة الظروف المناسبة للتجار الاجانب، ومنح البنادقة عدة امتيازات، سهلت عليهم سبيل المتاجرة مع مصر، وتعهد لهم بحماية رعاياهم، وأموالهم[٤٤].

كما جدد السلطان المنصور قلاوون اتفاقية الهدنة التي كان بيبرس عقدها مع الفرسان الاسبتارية[٤٥]، كما عقد اتفاقية مع حكومة عكا سنة ٦٨٠هـ، تقرر بموجبها الهدنة بين الطرفين، واهم ما جاء فيها بخصوص النشاط التجاري، أن يكون جميع رعايا السلطان بما فيهم التجار آمنين على أنفسهم، وأموالهم[٤٦].

وكانت جنوة حريصة على عقد صلح مع السلطان المنصور قلاوون لحماية تجارتها، وتم لها ما أرادت في سنة٦٨٩هـ، إذ حصلت على عدة امتيازات تجارية في مدينة الاسكندرية[٤٧].

شجع النشاط التجاري أمراء اراغون على توسيع علاقاتهم مع دولة المماليك البحرية، وارسل الفونسوا الثالث سفارة بالاتفاق مع اخيه ملك صقلية (جاك) إلى السلطان المنصور قلاوون لعقد معاهدة تحالف، تعهدا فيها بمساعدة سلطان المماليك البحرية ضد أي حرب صليبية، وضد الصليبيين في بلاد الشام إذا نقضوا الهدنة التي ابرموها معه. وتم عقد هذه الهدنة سنة٦٨٩هـ، وتضمنت في الوقت نفسه بنوداً ذات اهمية تجارية[٤٨].

إنّ العلاقات التجارية بين الطرفين لم تستمر بعد ان وردت إلى السلطان المنصور قلاوون إشارة من نائبه في دمشق، يخبره أن الصليبيين في مدينة طرابلس نقضوا الهدنة، واعتدوا على التجار المسلمين[٤٩].

وبعد وصول الصليبيين الايطاليين إلى عكا سنة٦٨٩هـ، اثاروا الارتباك، فأراد هؤلاء أن يعبروا عن حماستهم الدينية، وتوجهاتهم الصليبية، فهاجموا التجار والفلاحين المسلمين، على الرغم من الامان المعطى لهم بعد عقد الصلح بين السلطان والصليبيين، فأقسم السلطان المنصور قلاوون على الانتقام من الصليبيين[٥٠]. وبعد استيلاء المماليك البحرية على عكا، فقدت التجارة الغربية سوقا كبيرة، واضطر الصليبيون ترك المقاومة.

المبحث الثالث/ العمليات العسكرية للمماليك البحرية للقضاء على الامارات الصليبية في بلاد الشام:

جرت معارك متعددة بين المماليك البحرية والصليبيين في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، ففي عهد السلطان الظاهر بيبرس جرت عدة حملات عسكرية ضد الامارات الصليبية، فقاد السلطان الظاهر بيبرس حملة سنة ٦٦٣هـ، فاستولى على قيسارية[٥١]، ودمرها[٥٢]. بعدها توجه إلى مدينة حيفا[٥٣]، ففر منها الصليبيون عن طريق البحر، فاستولى عليها، وقام بتدميرها أيضاً. إن هذه السياسة التي سار عليها السلطان الظاهر بيبرس بالاستيلاء على الامارات الصليبية وتدميرها اتبعها سلاطين المماليك البحرية الذين جاؤوا بعده. وقام السلطان بمهاجمة قلعة عثليث وهي قلعة كبيرة تقع بين مدينتي حيفا وقيسارية، وكانت تابعة للفرسان الداوية[٥٤]، غير أنه لم يستطع فتحها[٥٥]. وتوجه إلى مدينة ارسوف[٥٦]، وكانت تحت حماية الاسبتارية، الذين حصنوا المدينة، وضموا كثيراً من الجنود، وخزنوا كثيراً من المؤن، فحاصرها السلطان

الظاهر بيبرس وتمكن من فتحها، واستسلام المدافعين عنها بعد مقاومة لمدة اربعين يوم خسر فيها معظم جيشه، وتم اسر من بقى، وأرسلهم المماليك إلى مدينة الكرك[٥٧][٥٨].

وفي سنة ٦٦٤هـ جهز السلطان الظاهر بيبرس حملة جديدة لمهاجمة الامارات الصليبية، وفي هذه الحملة قسم السلطان الظاهر بيبرس جيشه على قسمين، قاد الجيش الاول بنفسه، وكان هدفه مدينة عكا، فوجدها منيعة، فقرر الاتجاه نحو قلعة القرين الواقعة بين امارتي عكا وصور[٥٩] التي كانت تحت حماية الفرسان التيتون[٦٠]، فلم يستطيعوا فتحها أيضاً، فقرر السلطان تركها والتوجه نحو مدينة صفد[٦١]، التي تعد من اهم القلاع الصليبية، وقاعدة للفرسان الداوية، فحاصرها قبل مهاجمتها، وبسبب قوة الحصار اضطر الداوية إلى الاستسلام[٦٢].

اما الجيش المملوكي الثاني الذي كان بقيادة قلاوون، فاتجه شمالاً، وواجه مملكة ارمينيا الصغرى[٦٣]، وانطاكية[٦٤]، وطرابلس[٦٥]، وقام بتحرير القليعات[٦٦] وحلبا[٦٧] وعرقة[٦٨]، وهي مراكز تحمي طرابلس من جهتي الشمال والشمال الشرقي، فهدد المماليك البحرية طرابلس[٦٩].

وفي سنة ٦٦٥هـ توجه السلطان الظاهر بيبرس نحو عكا لكنه لم يستطع اقتحامها، وشجعه في ذلك الخلافات بين الصليبيين، فحاول اسطول جنوي مهاجمة إمارة عكا في السنة نفسها بهدف السيطرة على الميناء، فتصدى له اسطول البندقية، ودارت معركة بين الاسطولين، اضطر على أثرها الاسطول الجنوي إلى الانسحاب لمدينة صور[٧٠].

وتوجه السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٦هـ إلى مدينة يافا[٧١]، واستطاع الاستيلاء عليها، وسمح لحاميتها بالالتجاء إلى مدينة عكا ودمر الجيش المملوكي القلعة، وحمل ما فيها من خشب ورخام إلى مدينة القاهرة، لكي تستخدم في بناء المسجد الكبير[٧٢].

استولى السلطان الظاهر بيبرس على قلعة الشقيف التابعة للداوية، وسمح للنساء والأطفال مغادرتها إلى صور تاركاً الرجال أسرى لديه[٧٣]، ولأهمية موقع القلعة ترك فيها قوة كبيرة[٧٤].

اتجه السلطان الظاهر بيبرس في السنة نفسها إلى مدينة انطاكية[٧٥]، ومنع وصول النجدات اليها، فقسم جيشه على اقسام ثلاث، القسم الأول توجه لفتح السويدية[٧٦]، ومهمته قطع الاتصالات بين امارة انطاكية والبحر، أما القسم الثاني؛ فتوجه لسد الممرات على الطرق بين الشام وقليقيا[٧٧]، لقطع الامدادات من ارمنية، والقسم الثالث وهو يمثل الجيش الرئيسي الذي كان يقوده السلطان الظاهر بيبرس فتوجه نحو المدينة وحاصرها، وكان امير انطاكية بوهيموند السادس في ذلك الوقت في مدينة طرابلس، فتولى الدفاع عن المدينة القائد سيمون مانسل[٧٨]، ولم تكن الحامية التي تدافع

عن المدينة كافية لحماية المدينة بأكملهـــــا، فقرر سيمون مهاجمة الجيش المملوكي، فوقع بالأسر، ولم تسفر المفاوضات بين السلطان الظاهر بيبرس والمحاصرين داخل المدينة عن شيء، فقرر السلطان الظاهر بيبرس اقتحامهـا، وغنم منها كثير من الغنائم إذ " قسمت النقود بالطاسات "[٧٩]. وبعدها استسلمت قلعة بغراس التابعة للداوية بدون مقاومة[٨٠].

وفي سنة ٦٦٩هـ توجه السلطان الظاهر بيبرس بحملة نحو صافيتا[٨١] التي كانت تحت حماية الفرسان الداوية، فاستسلمت له، ثم توجه نحو قلعة الحصن التي كان يحميهـــــا الفرسان الاسبتارية، فحاصرها حصاراً شديداً، وتمكن من السيطرة عليها، وسمح لحاميتهـــــا باللجوء إلى مدينـــة طرابلس[٨٢]. وبذلك سيطر السلطان الظاهر بيبرس على الطرق المؤديـــة إلى مدينـــة طرابلس، ثم سيطر على قلعة الاسبتارية جنوب البقيعة[٨٣] المجاورة لطرابلس[٨٤].

استمرت العمليات العسكرية في عهد السلطان المنصور قلاوون، فباشر في السيطرة على حصن المرقب الكبير الذي هو بحماية الفرســـان الاسبتارية الذين تحالفوا مع المغول، وقامـــوا باعتراض القوافل التجارية التابعة للمسلمين، ففي سنة٦٨٤هـ، خرج قلاوون بجيش كبير مع آلات الحصار وفرض حصاراً حـــول حصن المرقب، وبدأت المجانيق بضرب الاسوار لمدة أكثر من شهر حتى تصدعت، وتمكن جيش المماليك البحرية من فتح ثغرة تحت أحد الأبراج، واضرمـــوا النار فيه حتى أخذ يتساقط، فاضطرت الحامية أن تستسلم[٨٥]. وسمح السلطان لقادة الحاميـــة، وعددهم خمســـة وعشرون أن يغادروا الحصن بكل أمتعتهم ، غير أنه لم يسمح لباقي الحاميـة من حمل أي شيء، واتجهوا نحو انطرطوس[٨٦]، وبعدهـا غادرهـا إلى طرابلس، فدخل السلطان المنصور قلاوون الحصن، ووصف اليونيني وابن تغري بردي هذا الحصن بقولهمـــــــا : "من الحصون المشهورة بالمنعة والحصانة وهو كبير جداً"[٨٧].

استغل السلطان المنصور قلاوون الاوضاع السيئة والمشاكل الداخلية التي كانت تمر بها الأمارات الصليبية ، بأن ارسل حملة سنة٦٨٦هـ لفتح برج اللاذقية، وكانت الحملـة بقيادة الامير طرنطاي[٨٨]، واستطاع الامير دخول المدينة بكل سهولة ويسر، واستعاد الامير حسام الدين في الحملة نفسها حصون صهيون وبرزية التي كانتا تحت سيطرة سنقر الاشقر[٨٩] [٩٠].

جهز السلطان قلاوون جيشاً كبيراً بلغ تعداده بحدود مائـة واربعين الف، قاده بنفسه، وذلك سنة٦٨٨هـ، وتوجه نحو الشام، ولم يتخذ بعد هدف لمهاجمتـه[٩١]. وفرض السلطان حصاراً كبيراً على امـارة طرابلس، " وضايقها مضايقـــة شديدة "[٩٢] ، واستطاع جيش المماليك البحريـــة احداث ثغرة في السور، وانهار احد الابراج، مما تسبب بأضعاف عزيمة المدافعين عن المدينـة، وقرر البنادقة الانسحاب وتبعهم الجنويون بعد ان ادركوا صعوبـــــة المقاومـــة، فشن السلطان

قلاوون هجوم كبير اقتحم فيه المدينة عبر ثغرة احدثوهـا في السور، وتم قتل كثيراً من سكانهـا الذين لجأ قسم كبير منهم إلى جزيرة قرب طرابلس، فيها كنيسة تسمى كنيسة سنطماس[٩٣].

اصدر السلطان قلاوون اوامره بتدمير المدينة نهائيـاً حتى لا يحاول الصليبيون استعادتها مـرة أخرى بسبب قوتهم البحريـة، وقرر وضع أساس لمدينة جديدة مجـاورة للنهر قرب حصن صنجيل[٩٤] بعيداً عن الساحل[٩٥].

وبدأ السلطان قلاوون سنة٦٨٩هـ استعداداته لتجهيز حملة للاستيلاء على عكا، غير أنـه توفي، فباشر ابنـه السلطان الاشرف خليل(٦٨٩-٦٩٣هـ) [٩٦]، حملته على عكا[٩٧]، فخـرج من القاهرة نحو الشام وذلك سنة٦٩٠هـ، وفرض حصاراً كبيراً على عكـا[٩٨]، وبلغ جيش المسلمين بحدود مئتين وعشرين الف مقاتل مجهزين بالات الحصار، ومن بينهـا منجنيق ضخم يسير على مائة عجلة عرف(المنصوري) [٩٩].

استطاع جيش المماليك البحرية دخول مدينة عكا، وجرت معركـة كبيرة، وقتل كثير من سكان عكا، وكان آخر معقل صليبي استسلم للمماليك البحريـة دار الداوية، وبذلك سيطر المماليك على عكـا سنة٦٩٠هـ وامر السلطان الاشرف خليل بتدميرها[١٠٠].

ثم ارسل السلطان الاشرف خليل بعد فتح عكـا جيشاً بقيادة الامير علم الدين سنجر الصوابي الجاشنكير[١٠١] إلى مدينة صور فسيطر عليها، وذلك في سنة٦٩٠هـ[١٠٢]. وارسـل في السنة نفسها جيشاً أخر بقيادة الامير الشجاعي[١٠٣] إلى مدينة صيدا، فخرج منهـا الفرسان الداويـة إلى قلعة مشيدة على جزيرة قريبـة، وطلبوا مساعدة من حاكم قبرص، وتبعهم جيش المماليك البحرية وسيطروا على القلعة وامر السلطان الاشرف بتدميرهـا بعد فرار الداوية لانطرطوس[١٠٤].

ودخل جيش المماليك البحرية إلى مدينة بيروت سنة٦٩٠هـ، فدمروا اسوارهـا، وجمع سكانها من الصليبيين والنصارى المحليين واكثرهم من الموارنـة[١٠٥] وارسلهم إلى دمشق ومنهـا إلى مصر، فخيرهم السلطان الاشرف بين العودة إلى مدينة بيروت او ترحيلهم إلى جزيرة قبرص، فاختاروا جزيرة قبرص[١٠٦].

وفتح السلطان الأشرف مدينة حيفا دون مقاومة وهدموهـا، وسير السلطان الأشرف الأمير علم الدين الدواداري[١٠٧]، وشرف الدين الجاكي[١٠٨] إلى مدينة جبيل[١٠٩]، ولـم يعد للصليبيين سوى موضعين، هما انطرطوس وعثليث، فانسحبت حامية الأولى والثانية دون مقاومـة سنة ٦٩٠هـ[١١٠].

الخلاصة:

١. تبين من البحث أنَّ لنساء البلاط المغولـــي دوراً مؤثراً في التقارب الذي حصل بين الخانات مغول فارس والامارات الاوربية الصليبية.

٢. أسهم ضعف التنسيق بين الصليبيين ومغول فارس بنحو كبير في فشل عقد التحالفـــات.

٣. فرضت الكنيسة وامراء اوربا قيوداً على التجارة مع المسلمين، ومنعت تصدير بعض السلع للمسلمين، ولاسيما التي تستخدم في صناعة السفن والاسلحة.

٤. إن التنافس الشديد بين الامارات الاوربية الصليبية، ولاسيما الجمهوريات البحرية الايطالـة للسيطرة على النشاط التجاري في البحر المتوسط أسهم بنحو كبير بضعف الامـــارات الصليبية في بلاد الشام، ومن ثم ادى إلى سقوطها بيد المماليك البحرية.

٥. على الرغم من القيود التي وضعتهـــا الكنيسة في اوربا للتجارة مع المسلمين، كانت هناك علاقات تجارية بين الامارات الصليبية والمماليك البحرية، وعقدت أكثر من هدنـــة بهدف ايقاف العمليات الحربية، من اجل استمرار التجارة في البحر المتوسط.

٦. كانت الامارات الاوربية الصليبية تنظر بالدرجة الأساس إلى مصالحهـــا، وتحقيق الارباح من خلال نشاطها التجاري مع المسلمين، فوصل الحال مع بعض الأمارات الأوربيـــة إلى عقد اتفاق مع المماليك البحرية للوقوف أمام أية حملة صليبية ترمي إلى مهاجمتهم.

الهوامش والمصادر:

---

(١) الصليبية تمثل العداء والحقد والكراهية للإسلام والمسلمين لدى قادة المعسكر النصراني الصليبي من رجـــال كنيسته وملوكه، ومن والاهم وأطاع أوامرهم وخضع لهم وعمل بتوجيهاتهم واقتفى اثرهم في كره الاسلام والمسلمين وحربهم والحقد عليهم. زهير الخالد، علاقة المعسكر النصراني الصليبي بالمسلمين عبر التاريخ ومطلقاتها الأساسية، ط٧، الجامعة الإسلامية، (المدينة المنورة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ص٩٨.

(٢) المماليك اسم مفعول من الفعل ملك، ينظر الزمخشري، جـــــار الله ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد (ت٥٣٨هـ)، اساس البلاغـــة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م)، ج٢، ص٢٢٧–٢٢٨ ؛ الـــــرازي، زين الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، المكتبـــــة العصرية، (بيروت، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)، ص٢٩٨. وان هذا المعنى مأخوذ من القرآن الكريم، فوردت آيات قرآنية تحوي هذا المعنى، ففي قولـه تعالـــى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ ﴾ سورة النساء، اية٣، وقوله تعالى: ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء

مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً ﴾ سورة الاحزاب، اية٥٢، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ سورة المعارج، أية٣٠، ولم يلبث لفظ المملوك ان أتخذ معنى اصطلاحي خاص في التاريخ الاسلامي ومن ثم أصبح يقصد بالمماليك الرقيق الأبيض الذين يصبحون رقيقاً اما نتيجة الأسر او بالشراء، وأقترن ذلك بالرقيق الأبيض دون الأسود، وكانت بلاد الترك وسط آسيا وأنحاء عديدة من اوربا وبحر البلطيق المصدر الرئيسي لجلبهم، ولعب هؤلاء الاتراك دوراً هاماً في السياسة العامة للدولة الإسلامية. ينظر. فايد حماد محمد عاشور، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي، ط١، جروس برس، (طرابلس، ١٩٩٥م/١٤١٥هـ)، ص٥٥.

(٣) المظفر قطز، الملك سيف الدين المعزي، كان من اكبر مماليك المعز ايبك التركماني، كان بطلاً شجاعاً مقداماً حازماً حسن التدبير. الصفدي، صلاح الدين خليل بن آيبك بن عبد الله (ت٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، (بيروت، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م)، ج٢٤، ص١٨٩؛ الكتبي، محمد بن شاكر بن احمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر (ت٧٦٤هـ)، فوات الوفيات، تحقيق: احسان عباس، ط١، دار صادر، (بيروت، ١٩٧٤م)، ج٣، ص٢٠١.

(٤) عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ج١٠، ص٣٣٥.

(٥) اباقا خان او ابغا بن هولاكو ايلخان المغول، كان مقداماً شجاعاً عالي الهمة. الصفدي، المصدر السابق، ج٦، ص١١٩.

(٦) وتسمى قطز خاتون وهي ابنة ملك الكرايت. العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي (ت٧٤٩هـ)، مسالك الابصار في ممالك الامصار، ط١، المجمع الثقافي، (ابوظبي، ١٤٢٣هـ)، ج٣، ص٢٠٥، هـ٣. وعرفت في المصادر العربية ظفر خاتون.ينظر. الكتبي، المصدر السابق، ج٤، ص٢٤٠، هـ٤.

(٧) لم اجد لها ترجمة في المصادر المتاحة.

(٨) ينظر. ابن العبري، ابو الفرج غريغوريوس بن اهرون بن توما الملطي (ت٦٨٥هـ)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: انطوان صالحاني اليسوعي، ط٣، دار الشرق، (بيروت، ١٩٩٢م)، ص٢٨٥.

(٩) محمود سعيد عمران، المغول واوربا، دار المعرفة الجامعية، (د.م، د.ت)، ص٧٢؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية في ايران، دار المعارف، (د.م، ١٩٨١م)، ص١٥٥؛ صبحي عبد المنعم محمد، سياسة المغول الايلخانيين تجاه دولة المماليك في مصر والشام (٧١٦-٧٣٦هـ/ ١٣١٦-١٣٣٥م)، العربي للنشر والتوزيع، (القاهرة، ٢٠٠١م) ، ص٢٣.

(١٠) تولى منصب البابا سنة ٦٦٤هـ، وحتى سنة ٦٦٧هـ. محمود سعيد عمران، المرجع نفسه، ص١٤٨.

(١١) للاطلاع على حروب مغول فارس ومغول القفجاق. ينظر. فؤاد عبد المعطي الصياد ، الشرق الاسلامي في عهد المغول الايلخانيين، اسرة هولاكو، مركز الوثائق والدراسات الانسانية، (قطر،١٩٨٧م)، ص٤٢-٤٣.

(١٢) القبيلة الذهبية احدى القبائل المغولية سكنت بلاد القفجاق، وتعد اول قبيلة مغولية اعتنقت الدين الإسلامي في عهد الخان بركة بن جورجي الذي تولى الحكم سنة ٦٥٥هـ، وحتى سنة ٦٦٦هـ. محمود سعيد عمران، المغول واوروبا، ص٧٤.

[١٣] القفجاق مدينة عظيمة وكانت تسمى السوداق. العمري، المصدر السابق، ج٢٧، ص٢٤٥.

[١٤] محمود سعيد عمران، المغول واوربا، ص٧٢؛عباس اقبال اشتياني، تاريخ ايران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية(٢٠٥هـ/٨٢٠م-١٣٤٣هـ/١٩٢٥م)، ترجمة: د.محمد علاء الدين منصور، مراجعة:ا.د.السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (القاهرة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، ص٤٤٥.

[١٥] السلطان ركن الدين ابو الفتح الظاهر بيبرس بن عبد الله الصالحي البندقداري، ملك مصر والشام، ضبط الأمور وساس الملك أتم سياسة وفتح الفتوحات، وباشر الحروب بنفسه. الصفدي، المصدر السابق، ج١٠، ص٢٠٧-٢١٧ ؛ الكتبي، المصدر السابق، ج١، ص٢٣٥-٢٤٧، ترجمة٨٧.

[١٦] محمود سعيد عمران، المغول واوربا، ص٧٢.

[١٧] لم تنجح حملة ادوارد في تحقيق اهدافها في بلاد الشام، وقرر ادوارد عقد هدنة مع السلطان الظاهر بيبرس تكفل للامارات الصليبية المتبقية وقتاً اضافياً، وكان الظاهر بيبرس من جانبه على استعداد لقبول الهدنة، فما تبقى من الامارات الصليبية في الشام واوضاعها لايسمح لهم ان يشكلوا اي تهديد للمماليك. فتم عقد الهدنة في مدينة قيسارية سنة٦٧٠هـ. ينظر. ابن عبد الظاهر، محيي الدين ابو الفضل عبد الله بن رشيد الدين السعدي المصري (ت٦٩٢هـ)، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبد العزيز الخويطر، ط١، د.ط، (الرياض،١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م)، ص٣٨٣ ؛ العيني، بدر الدين محمود (ت٨٥٥هـ)، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان عصر سلاطين المماليك، تحقيق: دكتور محمد محمد امين، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م)، ج٢، ص٩٢.

[١٨] عكا اسم بلد على ساحل البحر المتوسط من عمل الاردن، وهي من احسن بلاد الساحل واعمرها. ينظر. ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م ، ج٤، ص١٤٣.

[١٩] محمود سعيد عمران، المغول واوربا، ص٧٢-٧٣.

[٢٠] Relation d'Assenius dans Murat ; ss . XIII,p1183. ، نقلاً عن ف. هايد، تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى، ترجمة: احمد محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٨٥م)، ص٣٦٠.

[21]-Grousset,R;L Empire Mongol,III,Paris,1945,p.693.

[٢٢] ارغون بن ابغا بن هولاكو، ملك المغول وصاحب العراق وخراسان وغيرهما. تولى الحكم بعد قتل عمه احمد تكدار. ينظر. الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الاسلامي، (د . م، ٢٠٠٣م)، ج١٥، ص٦٥١، ترجمة ٦١٢.

[٢٣] تولى منصب البابا سنة ٦٨٤هـ، وحتى سنة ٦٨٦هـ. محمود سعيد عمران، المغول واوربا، ص١٥٤.

[24]– Runieman; A History of the Crusades, Vol III, Cambridge, 1959, P.398-402.

[٢٥] لم اجد له ترجمة في المصادر المتاحة.

[٢٦] تولى منصب البابا سنة ٦٨٧هـ، وحتى سنة ٦٩٢هـ. محمود سعيد عمران، المغول واوربا، ص١٥٥.

[٢٧] المرجع نفسه ، ص٢٥٦.

(٢٨) المرجع نفسه، ص٢٦٠ ؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي، المرجع السابق، ص١٨٠.

(٢٩) محمود سعيد عمران ، المرجع نفسه ، ص٢٦٠.

(٣٠) هايد، المرجع السابق، ج٢، ص٣٤-٣٥.

(٣١) ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: الدكتور السيد الباز العريني، دار الثقافة، (بيروت، ١٩٩٧م – ١٤١٧هـ)، مج٣، ق٢، المغول والمماليك ونهاية الشرق الفرنجي، ص٦٠٩.

(٣٢) تولى منصب البابا سنة ٦٧٠هـ وحتى سنة ٦٧٥هـ. محمود سعيد عمران، المغول واوربا، ص١٤٩.

(٣٣) أربونة مدينة أخر ما كان بأيدي المسلمين من مدن الأندلس وثغورها مما يلي بلاد الأفرنجية، وقد خرجت عن أيدي المسلمين سنة ٦٣٠هـ مع غيرها مما كان في أيديهم من المدن والحصون. الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: أحسان عباس، ط٢، دار السراج، (بيروت، ١٩٨٠م)، ص٢٤. تقع جنوب فرنسا. محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي، المرجع السابق، ص٢٣٨ ؛ حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط١، الزهراء للأعلام العربي، (القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص١٣٦.

(٣٤) هايد، المرجع السابق، ج٢، ص٧٢-٧٦.

(٣٥) Jacq.de vitry,dans Bongars,Gesta deiper Francos I,p.1085ets,1089. ، نقلاً عن هايد، المرجع السابق، ج١، ص٣٥٧.

(٣٦) ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب (ت٧٣٢هـ)، المختصر في اخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية المصرية،(د.م، د.ت)، ج٣، ص٢١٧.

(٣٧) Da Canale, Nuova storia di Genova,II,p.453-553. ، نقلاً عن هايد، المرجع السابق، ج١، ص٣٥٧.

(٣٨) Wilken, Gesch. Der kreuzz. VII,p.511 etss. ، نقلاً عن هايد، المرجع السابق، ج١، ص٣٥٧.

(٣٩) Da Canale, p.300;III,p.179. ، نقلاً عن هايد، المرجع السابق، ج١، ص٣٥٧.

(٤٠) Annal.Jan.p.317. ، نقلاً عن هايد، المرجع السابق، ج١، ص٣٥٨.

(٤١) Lib jur.II,135-138. ، نقلاً عن هايد، المرجع السابق، ج١، ص٣٥٨.

(٤٢) هايد، المرجع السابق، ج٢، ص٧٢-٧٦.

(٤٣) السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين ابو المعالي قلاوون التركي الصالحي النجمي، أشتري بألف دينار ولهذا كان في حال أمريته يسمى بالألفي. الذهبي، المصدر السابق، ج١٥، ص٦٤٠.

(٤٤) ينظر بخصوص الهدنة مع الجنويين. ابن عبد الظاهر، محيي الدين ابو الفضل عبد الله بن رشيد الدين السعدي المصري ، تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق: الدكتور مراد كامل ، د . ط ، (القاهرة ، ١٩٦١م)، ص١٦٥-١٦٩.

(٤٥) هيئة الفرسان الاسبتارية Hospitallers جذور هذه الهيئة ترجع إلى القرن الرابع الهجري، عندما اسس تجار مدينة امالفي جمعية خيرية في بيمارستان(مستشفى) قرب كنيسة القيامة في بيت المقدس وذلك بهدف تقديم العناية للحجاج الفقراء، ومن ثم اطلق عليهم فرسان المستشفى التي حرفت باللغة العربية إلى كلمة اسبتارية.

ينظر. محمود سعيد عمران، حضارة اوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، (القاهرة، د.ت)، ص١١٢-١١٣.

(٤٦) ينظر النص الكامل لبنود الهدنة. ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي (ت٨٠٧هـ)، تاريخ الدول والملوك المسمى(تاريخ ابن الفرات)، تحقيق: د. حسن محمد الشماع، د . ط، (البصرة، د.ت)، مج٧، ص٢٦٢-٢٦٣.

(٤٧) هايد، المرجع السابق، ج٢، ص٦٨-٦٩.

(٤٨) رنسيمان، المرجع السابق، ج٣، ص٦٩٢.

(٤٩) المقريزي، تقي الدين ابو العباس احمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي (ت٨٤٥هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م)، ج٢، ص٢٠٨ ؛ ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، (القاهرة، د. ت)، ج٧، ص٣٢١.

(٥٠) المقريزي، المصدر نفسه، ج٢، ص٢١٦ ؛ ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج٧، ص٣٢٤-٣٢٥ ؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج٣، ص٦٩٢.

(٥١) قيسارية بلد على ساحل البحر المتوسط تعد من اعمال فلسطين، واسعة الرقعة كثيرة الخير والاهل. ينظر. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٤ ، ص٤٢١.

(٥٢) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص٢٣٠-٢٣١.

(٥٣) حيفا قرية مشيدة على البحر المتوسط بها كثير من الاشجار. ينظر. ناصر خسرو، ابو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي (ت٤٨١هـ)، سفر نامة، تحقيق: د. يحيى الخشاب، ط٣، دار الكتاب الجديد، (بيروت، ١٩٨٣م)، ص٥٣.

(٥٤) هيئة الفرسان الداوية او فرسان المعبد Templars نشأت منذ البداية على اساس حربي، ويرجع تأسيسها إلى القرن الخامس الهجري، وقد اختارت جزءاً من هيكل النبي سليمان في المسجد الاقصى(بيت المقدس) ليكون مقراً لها ومن هنا عرفوا باسم فرسان المعبد التي حرفت في اللغة العربية إلى كلمة الداوية. ينظر. محمود سعيد عمران، حضارة اوربا، ص١١٣-١١٤.

(٥٥) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص٢٣٤.

(٥٦) أرسوف مدينة على ساحل البحر المتوسط بين قيسارية ويافا. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج١، ص١٥١.

(٥٧) الكرك قرية في جبل لبنان. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٤، ص٤٥٢.

(٥٨) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص٢٣٥-٢٣٩.

(٥٩) صور مدينة كانت من ثغور المسلمين مشرفة على البحر المتوسط وهي حصينة جداً. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص٤٣٣.

(٦٠) الفرسان التيتون طائفة عسكرية دينية تأسست بحدود القرن السادس الهجري، في البدء كانت كهيئة تمريضية لكنها تحولت إلى نمط فرسان المعبد(الداوية)، وفرسان الاسبتارية وشاركت في الحروب الصليبية. للاطلاع

ينظر. حسن عبد الوهاب حسين، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الاراضي المقدسة حوالي ١١٩٠-١٢٩١م/ ٥٨٦-٦٩٠هـ، دار المعرفة الجامعية، (الاسكندرية، ١٩٨٨م).

(٦١) صفد مدينة في جبال عامل المطلة على حمص بالشام، وهي من جبـــــال لبنان. ينظر. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص٤١٢.

(٦٢) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص٢٥٥-٢٦٤.

(٦٣) ارمينيا الصغرى هي مدينة تفليس ونواحيها. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج١ ، ص١٦٠.

(٦٤) انطاكية هي قصبة العواصم من الثغور الشامية، المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٦.

(٦٥) طرابلس مدينة على ساحل البحر المتوسط، تحوي اسواقاً جامعة. المصدر نفسه، ج٤، ص٢٥.

(٦٦) لم اجد لها تعريف في المصادر المتاحة.

(٦٧) لم اجد لها تعريف في المصادر المتاحة.

(٦٨) عرقة بلدة في شرقي طرابلس، وهي في سفح الجبل، بينهـــــــــا وبين البحر نحو ميل. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٤ ، ص١٠٩.

(٦٩) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص٢٥١-٢٥٢.

(٧٠) Estoire d 'Eracles:pp.455-456. ، نقلاً عن محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبـــــلاد الشام ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م، ط١، دار النفائس،(بيروت،١٤١٨هـ – ١٩٩٧م)، ص١٢٤.

(٧١) يافا مدينة على ساحل البحر المتوسط من اعمـــــال فلسطين بين قيسارية وعكا. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٥ ، ص٤٢٦.

(٧٢) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص٢٩٢-٢٩٤ ؛ المنصوري، بيبرس (ت ٧٢٥هـ)، مختار الاخبار تاريخ الدولة الايوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة٧٠٢هـ، تحقيق: دكتور عبد الحميد صالـــح حمدان، ط١، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م)، ص٣٦.

(٧٣) المنصوري، المصدر نفسه، ص٣٥-٣٦.

(٧٤) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص٢٩٨-٢٩٩ ؛ المنصوري، المصدر نفسه، ص٣٥-٣٦.

(٧٥) ابن عبد الظاهر، المصدر نفسه، ص٢٩٨-٢٩٩.

(٧٦) السويدية بليدة هي مرسى لسفن الافرنج يرفعون منه امتعتهم على الدواب إلى انطاكيـــــة. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج١، ص٢٦٨.

(٧٧) لم اجد لها تعريف في المصادر المتاحة.

(٧٨) رنسيمان، المرجع السابق، ج٣، ص٥٥٧.

(٧٩) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص٣٠٧-٣٠٩ ؛ المنصوري، المصدر السابق، ص٣٦.

(٨٠) ابن عبد الظاهر، المصدر نفسه، ص٣٢٥-٣٢٦ ؛ المنصوري، المصدر السابق، ص٣٧.

(٨١) صافيتا من مدن بلاد الشام الساحلية، كانت فيها جامع وثلاثة مساجد في جوارهـــا. ينظر. محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي ، خطط الشام، ط٣، مكتبة النوري، (دمشق ، ١٤٠٣-١٩٨٣م)، ج٦، ص٥٢.

(٨٢) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص٣٧٥-٣٧٧ ؛ المنصوري، المصدر السابق، ص٤٤-٤٥.

(٨٣) لم اجد لها تعريف في المصادر المتاحة.

(٨٤) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص٣٧٩-٣٨١.

(٨٥) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام، ص٧٧-٨١.

(٨٦) انطرطوس بلد من سواحل البحر المتوسط وتقع بين مدينتي دمشق وحمص. ينظر. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج١، ص٢٧٠.

(٨٧) اليونيني، قطب الدين ابو الفتح موسى بن محمد (ت٧٢٦هـ)، ذيل مرآة الزمان، بعناية: وزارة التحقيقات الحكمية والامور الثقافية للحكومة الهندية، ط٢، دار الكتاب الاسلامي، (القاهرة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م)، ج٤، ص٢٤١ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٣١٧.

(٨٨) حسام الدين طرنطاي ابو سعيد المنصوري السيفي كان مقدماً لدى السلطان المنصور قلاوون. الذهبي، المصدر السابق، ج١٥، ص٦٣٢، ترجمة٥٦٦.

(٨٩) الامير الكبير الملك الكامل شمس الدين الصالحي كان من اعيان البحرية، حبسه الملك الناصر بحلب او غيرها، فلما استولى هولاكو على البلاد وجده محبوساً فاخرجه وانعم عليه واخذه معه فبقي عند التتار مكرماً، ثم رجع إلى القاهرة، واصبح من اكبر امراء الدولة في عهد السلطان الظاهر بيبرس. ينظر. الصفدي، المصدر السابق، ج١٥، ص٢٩٧-٢٩٨.

(٩٠) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام، ص١٤٨-١٥٣ ؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج٧، ص٣١٩.

(٩١) المقريزي، المصدر السابق، ج٢، ص٢١٦.

(٩٢) ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط١، دار احياء التراث العربي، (د.م، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م)، ج١٣، ص٣٦٨ ؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج٧، ص٣٢١.

(٩٣) ابو الفداء، المصدر السابق، ج٤، ص٢٣.

(٩٤) حصن صنجيل يقع قرب مدينة طرابلس بناه القائد صنجيل الافرنجي الذي استولى على مدن عديدة في الشام. ابو الفداء، المصدر السابق، ج٢، ص٢١٦-٢٢١.

(٩٥) ابو الفداء، المصدر السابق، ج٤، ص٢٣ ؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج١٣، ص٣٦٨.

(٩٦) السلطان الاشرف خليل بن المنصور قلاوون ولي السلطنة بعد وفاة ابيه، وثار عليه المماليك سنة ٦٩٣هـ، وقتلوه في القاهرة. الكتبي، المصدر السابق، ج١، ص٤٠٦.

(٩٧) ابو الفداء، المصدر السابق، ج٤، ص٢٤.

(٩٨) ابو الفداء، المصدر السابق، ج٤، ص٢٤.

(٩٩) ابو الفداء، المصدر السابق، ج٤، ص٢٤.

(١٠٠) ينظر بخصوص معركة عكا. المصدر السابق، ج٤، ص٢٤-٢٥.

(١٠١) علم الدين سنجر الصوابي الجاشنكير تنقل في الخدم إلى ان ولي ولاية القاهرة سنة ٦٩٣هـ. ينظر. ابن حجر العسقلاني، ابو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد (ت٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية، (حيدر اباد، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ج٢، ص٣١٩، ترجمة ١٨٧٨.

(١٠٢) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج٨، ص٨.

(١٠٣) الامير الكبير علم الدين سنجر الشجاعي المنصوري، ولي شد الديار المصرية، ثم الوزارة، ثم ولي نيابة دمشق. ينظر. الذهبي، المصدر السابق، ج١٥، ص٧٦٧، ترجمة١٦٧.

(١٠٤) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج٨، ص١٠.

(١٠٥) الموارنة طائفة من طوائف النصارى الكاثوليك الشرقيين، قالوا بأن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة، ينتسبون إلى القديس مارون، متخذين من لبنان مركزاً لهم. محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي، المرجع السابق، ج٦، ص٢٣٠.

(١٠٦) ابو الفداء، المصدر السابق، ج٤، ص٢٥-٢٦.

(١٠٧) علم الدين ابو موسى سنجر التركي البرلي الدواداري الامير الكبير العالم المحدث، الصفدي، المصدر السابق، ج١٥، ص٢٩٠.

(١٠٨) لم اجد له ترجمة في المصادر المتاحة.

(١٠٩) الذهبي، المصدر السابق، ج٥١، ص٥١.

(١١٠) ابو الفداء، المصدر السابق، ج٤، ص٢٥ ؛ الذهبي، المصدر السابق، ج٥١، ص٥٢ ؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج٨، ص١٠ ؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج٣، ص٧١٢.

Business Activity in Mediterranean Sea and its Impact on Crusades Emirates in Levant Country fell during the second half of seventh century(A.H.)

Submitted by
Lecture. Dr.Ragheed Gummar Majeed Salman
Lecture. Dr.Nihad Hameed ELaibi Aged
University of Mustansiriya /College of Education/Department of History

Abstract:

The commercial activity in the Mediterranean had a major impact in Emirates Crusades in Levant country fell by Al- Mamluks hand , however , the competition was at its peak between the European Emirates particularly among Italian republics marine , which influence the internal situation and there were disputes between Crusades Emirates in the levant country resulting to weakness on the other side , were bad-treatment and abuse that Crusaders showed against traders and farmers on the other hand , the alliances that had Crusades tried to contract with the Mongols Knight, the first enemy of the Mamluks of a third hand , these factors prompted the state of Al-Mamluks to undertake military operation to eradicate the Emirates country during the second half from the seventh century(A.H.).

Keyword: Trade